



صدري یختنق.. ضمیری لم یعد یحتمل السکوت.. المحنة التي یتعرض لها إخواننا فی سوریا تعرینا جمیعاً وتضعنا فی مواجهة سافرة مع أنفسنا.. هذا هو البلاء المبین.. الثورة السوریه لم تكن ابتلاءً لإخواننا فی سوریا وحدهم، بل هی محنة عامة للغریبة والتمحیص، ولیمیز الخبیث من الطیب، ولیعلم الذین صدقوا ویعلم الکاذبین..

كان الله قادراً أن ینصر هذه الثورة منذ شهرها الأول، ولكن ثمة حکمة بالغة فی إطالة أمدها لتتمايز الصفوف ولیخرج الله ما فی الصدور.. کم من الحقائق تکشفت فی عمر الثورة السوریه؟ وکم من الشعارات الزائفة تهاوت..؟ كانت هذه الثورة اختباراً لإیمان الشعب السوری فتبین الصادق من الکاذب، ورأینا من اختار الانحياز إلى الحق والعدل، ومن اختار الاصطفاف إلى جوار نظام القتل والإجرام.. لكنها لم تكن اختباراً للشعب السوری وحده، بل كانت اختباراً لمن هم خارج سوریا أيضاً، فتعرت حقیقة روسيا والصین، وتکشف تجردهما من کل خلق وإنسانیة، وتبینت حقیقة نفاق المواقف الغربیه أيضاً وبعدها عن اتخاذ مواقف جادة لنصرة الدیمقراطية.. كما انکشفت حقیقة مهزلة النظام الرسمى العربی كما لم یحدث من قبل، وسقطت أسطورة ایران وحزب الله سقوطاً مدوياً كما لم یحدث من قبل أيضاً.. هذه المحنة العامة لم تستثن أحداً حتی طالتنا نحن أيضاً..

نشعر بالحرğ مع کل یوم وأسبوع وشهر ینقضي دون أن تحسم الثورة، ونود لو أنها حسمت بسرعة فیرتفع عنا الحرğ ونرجع إلى حالة الاستقرار.. ولكن غاب عنا أن بقاء الأمور فی الدائرة الرمادیة حتی حین مقصود لذاته للاختبار والتمحیص.. إن علینا بدل أن ننتظر انقشاع الغمامة وجلاء الصورة، أن نسارع إلى الالتحاق بالصادقین، وأن نسجل موقف شرف قبل فوات الأوان..

هی محنة عظيمة تتطلب منا الاختیار بین السیاسة وما تقتضیه من تجرد من الأخلاق والإنسانیة، أو بین الانتصار للإنسانیة مع ما قد یحملة ذلك من مخاطر وصعاب.. وإن وقت الاختیار محدود للغاية؛ لأن کل دقیقة تمر فی سوریا تعنی مزیداً من الدماء والأشلاء والضحايا..

لقد أقضت سوریا مضاجعنا فما عاد فی الوسع أن ننام نوماً هانئاً ونحن نرى مشاهد الموت المروعة لأطفالنا ونسائنا من هناك..

إن إنسانيتنا ذاتها في خطر، وعلينا أن نسارع لإنقاذ كرامتنا وليس لإنقاذ شعب سوريا وحسب..

إن كل ما تلقناه من دروس ومحاضرات حول المبادئ لم يعد لها قيمة إن لم تجد طريقها اليوم نحو العمل..

لأنني أنتمي إلى بني آدم قررت التظاهر نصرةً لمن ينتمون إلى بني آدم في سوريا..

أعتذر أن تكون كل هذه المقدمة السابقة لمجرد تظاهرة، لكن هذا هو جهد المقل فاعذرونا يا أهل سوريا..

قد بادرت بنفسي لهذه الدعوة في غزة لأنني لا أريد أن يقال: إن غزة لم تتظاهر نصرةً لسوريا، واخترت أن أدعو لهذه التظاهرة بنفسي لأنني أود أن يخرج الشعب الفلسطيني من حالة الاستقطاب الحزبي التي قتلت حيويته وعطلت طاقاته وقدراته وجعلته رهينةً للقرارات والاعتبارات الحزبية..

كان شعوري بضرورة إعادة الاعتبار للشعب وإعادة تفعيل الطاقات الشابة دافعاً لي بأن أتخذ هذا القرار بمبادرة شخصية وأن أعتد وسائلتي الخاصة في الحشد والتحضير..

يسألني الناس كم تتوقع أن يحضر هذه التظاهرة، فأقول لهم: ليس هذا مهماً.. المهم أن يكون هناك موقف لأعبر عنه حتى لو كنت لوحدي.. كثيراً ما تراودني فكرة "تظاهرة الفرد الواحد".. فلا يقاس نجاح التظاهرة بعدد من شاركوا فيها، بل يقاس بأن يكون هناك موقف للتعبير عنه حتى لو كان الفرد لوحده.

في قرآننا نجد إعلاءً لقيمة الموقف الفردي، حيث يخلد القرآن مواقف لأفراد كانوا وحدهم في مواجهة التيار الاجتماعي الجارف، ومع ذلك يخلد القرآن مواقفهم ليكون في ذلك عبرة لنا بأن نثق بفرديتنا وألا ندع تيار المجتمع يجرفنا ويلغي شخصياتنا، فمؤمن آل فرعون الذي يفرد القرآن سورةً كاملةً تتحدث عنه كان فرداً، ومؤمن آل ياسين الذي جاء من أقصى المدينة يسعى كان فرداً، وإبراهيم -عليه السلام- كان وحده ومع ذلك وصفه القرآن بأنه أمة؛ {إن إبراهيم كان أمة..}...

إن المجتمعات تنتظر من يكسر جدار الخوف ويأخذ بزمام المبادرة لتتبعه، ونسأل الله - عز وجل - أن يكتب لنا أجر السبق فيحرك بنا ركوداً ويجعلنا سبباً في الحياة بعد الموت..

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: